ظاهرة التنوين: مفهومها وعلاقتها

د. البشتي الطيب بشنة
جامعة السابع من أبريل

توطئة: تتميّز لغتنا العربية عن بقية اللغات الإنسانية بخصائص عدة,من أهمها ظاهرة التنوين, فالمتتبّع لهذه اللغة يجد الكثير من كلماتها ما يقتضي أن يكون في آخرها ضمتان,أو فتحتان,أو كسرتان, تتطلبها طبيعة المقام الكلامي,أو التنغيم الصوتي,أو دواعٍ أخرى,مثل قولك :فاز خالدُ ,وقرأت كتاباً,ومررت برجلٍ ,وكان الأصل أن تكتب هذه الكلمات وأمثالها,كما يكتبها العَروضيون هكذا:خالدُنْ,وكتابَنْ,ورجلِنْ,بزيادة نون ساكنة في آخر الكلمة,لتحدث هذه النون في تلك الكلمة جرساً موسيقياً,وتنغيماً صوتياً,له دلالته في الكلام,على ما سنعرف .

غير أنَّ علماء اللغة عدلوا عن هذا الأصل في الكتابة,ووضعوا مكان هذه النون رمزاً مختصراً, يغني عنها,ويدل علي ما تدل عليه,وذلك منعاً للخلط بين هذه النون,وبقية النونات الأخرى الزائدة والأصلية التي تقع في أواخر الكلمات,وهذا الرمز هو الضمة الثانية,والفتحة الثانية,الكسرة الثانية, وأطلقوا عليه التنوين،أو الترنيم, أو النون السّالفة, نسبة إلى الأصل(1),ولكن ما المراد بالتنوين في اللغة والاصطلاح؟, وما هي حقيقته؟,وما علاقته بالدلالة ؟,هذا ما أريد التوصل إليه في هذا البحث :

التنوين لغة مصدر من الفعل الرباعي(نوّن), بزّنه(فعّل), بتضعيف العين,ويعني به أن تدخل علي آخر الكلمة نوناً ساكنة عنْد النطق بها,يقال:نوّنت الكلمة تنويناً,إذا أدخلت عليها نوناً لفظاً لاخطاً, ثم غُلِّب هذا المصطلح حتى صار اسماً لتلك النون التي تلحق آخر الكلمة في غير الوقف,أو التوكيد , فالتنوين هو إحداث صوت النون الساكنة الزائدة في آخر الاسم وقد وُصِفَ بالزيادة, لأنه ليس من بنية الكلمة التي اتصل بها,بدليل حذفه في بعض المواضع أو الحالات,كالوقف,أو دخول أل علي الاسم المنّون

أو نحو ذلك على ما سنعرف[2],فالتنوين نون صحيحة ساكنة,وقد خَّصها النحـــاة بهـــذه اللقب,وسموُها تنويناً ليفرقوا بينها,وبين النون الزائدة المتحركة التي تكون فـــي آخـــر المثنى والجمع[3].

ويُعَدُّ التنوين حرفاً مبنياً من حروف المعاني,جـــيء بـــه لمعنـــىً,علـــى مـــا سنعرف,بخلاف ما يظنه بعض اللغويين من أنَّه ليس حرفاً من تلك الحـــروف,وحجـــة هؤلاء أنَّ التنوين لا توجد له صورة في الخط أو الكتابة[4].

ويذهب السيوطي إلي أنَّ التنوين إنما سُمِّي بذلك,لأنه حادث بفعل المتكلم,والتفعيل مـــن أبنية الأحداث, وهو زيادة على الكلمة,كما أنَّ النفل زيادة على الفرض[5] .

وإذا أُطلق هذا المصطلح, من دون قيد, فإنَّه يراد به تنوين الصرف, أي:الغُنَّة الخيشومية التي مخرجها الأنف, أمَّا إذا قُيِّد بلفظ بعده, فإنه يراد به غيره من التنوينات, مثل قولهم: تنوين التمكين, أو تنوين التعويض, أو تنوين المقابلة, أو نحو ذلك [6] .

والتنوين شيءُ عارض على الكلمة,وليس مثبتاً فيها,وللتميز بينه وبين غيره من النونات الأصلية أو الجارية مجرى الأصلية الواقعة في آخر الكلمة,لم تثبت له صوره في الخط,لأنَّه تابع للحركات الإعرابية,وتتغير صورته بتغيـــر تلـــك الحركـــات علـــي الكلمة,ولهذه يقال:تنوين بالضم,لأنَّ ما قبله

مضموم,وتنوين بالكسر, لأنَّ ما قبله مكسور,وتنوين بالفتح لأن ما قبله مفتوح يقول ابن يعيش :

((التنوين ليس مثبتاً في الكلمة,أنَّما هو تابع للحركات التابعة بعد تمام الجزء , جيء به لمعنى, وليس كالنون الأصلية التي من نفس الكلمة أو الملحقة الجارية مجرى الأصل , ولذلك من إرادة الفرق لم يثبت لها صورة في الخط))[7] .

وقد تباينت آراء النحاة حول العلة في دخول ظاهرة التنوين في الكلام[8], فهذا شيخ النحاة سيبويه يرى أنَّه دخل الكلام طلبا للخفة,ومن عادة العرب في كلامهم,أنهـــم ينتقلون من الثقيل إلي الخفيف, بينما ذهب بعض النحاة إلي القول بأنَّ التنوين إنما جيء به في الكلام للتميز بين الاسم والفعل, فالفعل لا يدخله التنوين مطلقاً ,بينما الاســـم قـــد يلحقه التنوين,ويدل عليه,قال ابن مالك في ألفيته:

بالجر و التنوين و الندا و أل :. و مسند للاسم تميز حصل [9] .

وقد ذهب آخرون من النحاة إلي القول بأنَّ التنـــوين إنَّما دخل الكلام فرقاً بين ما ينصرف وما لا ينصرف من الأسماء, فالاسم المصروف على رأى هؤلاء ما دخله التنوين,والاسم غير المصروف ما لم يدخله الجر والتنوين [10] .

ومن الخصائص التي يتميزّ بها التنوين أنَّه يقع دائماً في آخر الكلمة,ولا يقـــع في أولها,بسبب سكونه,إذ لا يبتدأ بالساكن,ولا يوقف علي متحرك في اللغة العربية,فلـــو وقع التنوين في أول الكلمة,لوجب أن يكون متحركاً ,مثـــل بعـــض حـــروف المعـــاني المتحركة,كواو العطف,وفائه,وهمزة الاستفهام,نحو ذلك,ممَّا قد يبتدأ به في الكلام,ولمـــا كان التنوين ساكناً,جيء به في آخر الكلمة,فإذا لقيه ساكن بعده حُرِّك بالكسر تخلصاً من التقاء الساكنين,لأنَّ الأصل في التخلص من التقاء الساكنين أن يكون بالكسر,كقولك:هذا زيدُنِ الْعاقل,ورأيتُ زيدَنِ الْعاقل,ومررت بزيدِنِ الْعاقل[11].

وقد يحرَّك التنوين بالضم بدلا من الكسر,إذا وليه ساكن بعده,كما جاء في قراءة قوله تعالي :- ﴿وعذابُ اركُضِ﴾[12],حيث قرئت بالضم والكسر,فمن كسر,فقد راعـــى الأصل,ومن ضم,فقد اتبع الضم الضم ,كراهية الخروج من كسر إلي ضم,وكقراءة قوله تعالي : ﴿ وعيونٌ ادْخُلُوها﴾(13),
قرئت أيضاً بالضم و الكسر [14].

وقد يحذف التنوين جوازاً,إذا جاء بعده ساكن طلباً للخفة,كما يحذف حرف المد واللين إذا وليه ساكن,وفي هـــذا يقـــول شـــارح المفـــصّل:((ربمـــا حـــذفوه لالتقـــاء الساكنين,تشبيها له بحروف المد واللين , وقد كثر ذلك عندهم ,حتى يكاد يكون قياســـاً ,فمن ذلك قوله تعالي في قراءة من قرأ:﴿ ولا الليل سابق النهار﴾ [15] والمعني:ســـابق منوَّن,فحذف التنوين للساكن بعده , كما يحذف حرف المدّ من نحو : يغز الجـــيش , و يرم الغرض))[16].

وهناك حالات يحذف فيها التنوين و جوباً , ومن بين هذه الحالات:[17]

1- دخول (أل) التعريف في صدر الاسم المنوَّن,إذ لا يجتمع التنـــوين مـــع (أل) التعريف في الكلمة الواحدة , كقولك: جاء الرجل,من دون تنـــوين,فـــإذا حـــذفت (أل)

التعريف , نونت ,كما في قولك : جاء رجلٌ , ورأيـت رجـلاً , ومـررت برجـلٍ , فالتعريف بأل يلغي التنوين في الاسم المصروف .

2- إذا وقع الاسم المنوّن مضافاً إلي اسم معرفة ,كقولك : فاز طالبُ العلـم ,فقـد امتنع الاسـم المـصروف (طالـب) مـن التنـوين فـي المثـال الـسابق لمجيئـه مضافاً,والأصل:فاز طالبٌ, بالتنوين,والعلة في منع الاسم من التنوين هنا أن المـضاف والمضاف إليه كالكلمة الوحدة ,ولذلك لا يجوز الفصل بين جزأي الكلمة بفاصل أجنبي.

3- إذا كان الاسم المنّون شبيهاً بالمضاف , كقولك:لا مال لمحمود,بشرط أن يكـون الجار والمجرور نعتاً لهذا الاسم,مثل لفظ (مال),وخبر لا النافية للجنس في هذه الحـال يكون محذوفاً, و تقدير الإضافة في المثال السابق ,هكذا:لا مال محمود موجود ,فإن كان الجار والمجرور هما الخبر,فليس هناك تنوين محذوف,إذ لا إضافة في هذه الحال,بـل يلزم حينئذٍ بناء هذا الاسم على الفتح [18].

4- إذا كان الاسم ممنوعاً من الصرف,وقد اختلف النحاة حول مفهوم الصرف,فـذهب بعضهم إلي أنّ الصرف هو التنوين,وذهب بعضهم إلي القول بأنّ الصرف هو الجر و التنوين معاً , و اختلف في اشتقاق المنصرف,فقيل من الصريف,وهو الصوت,لأنّ فـي آخر الاسم المنصرف تنوين,وهو الصوت,وقيل: إنّ الصرف مشتق من الانصراف وهو الرجوع,فكأنه انصرف عن شبه الفعل ,لأنّ الأصل في الاسم أن يكون معرباً منصرفاً,و إنما يخرجه عن أصله شبهه بالفعل,أو بالحرف,فما يشبه الفعل مـن الأسـماء يكـون ممنوعاً من الصرف,إذ أنّ الأفعال لا يدخلها التنوين مطلقاً,ومـا يـشبه الحـرف مـن الأسماء يكون مبنياً,لأنّ الأصل في الحروف البناء,وعلي هذا فإنّه يمتنع التنـوين مـن بعض الأسماء,إذا كانت هذه الأسماء جارية مجرى الفعل , وأن المعتبر من شبه الفعل في منع الاسم من الصرف, هو ما كان في الاسـم علتان :إحداهما ترجع إلي اللفـظ ,و الأخرى ترجع إلي المعني , أو علة واحدة تقوم مقام العلتين ,مثل لفظ (أحمد),فهـو ممنوع من الصرف ,لتوفر العلتين :إحداهما ترجع إلي اللفـظ , وهـي وزن الفعـل, والأخرى ترجع إلي المعنى وهو التعريف أو العلمية ,فلما كمل شبهه بالفعل ثقل ثقـل الفعل,فلم يدخله التنوين ,و كان في موضع الجر مفتوحاً [19] .

و العلل التي تمنع الاسم من الصرف تسع ,يجمعها قول ابن مالك :

عدل ووصف و تأنيث و معرفة :. و عُجمة ثم جمع ثم تركيب .

و النون زائدة من قبلها ألف :. و وزن فُعَل ,وهذا القول تقريب.[20]

5- كما يلغى التنوين وجوباً عند الوقف على الكلمة المنَّونة ,و المراد بالوقف هنا قطع الصوت عند النطق بآخر الكلمة ,كقولك :هذا أمرُ عجيبْ ,أو فكرتُ في أمرٍ عجيبْ , إذ يوقف على الباء بالسكون ,لانقطاع الصوت بعدها ,فإن كانت الكلمة المنوَّنه منصوبة فإنَّ التنوين في هذه الحال ينقلب ألفا على اللغة المشهورة,وذلك لخفة الفتحة,و مجانسة الألف لها, كقولك :شاهدت زيداً مسافرا ,أي : بإبدال التنوين ألفاً في (مسافرا).[21]

ما لم يكن الاسم المنُّون منتهياً بتاء مربوطة، فإن كان كذلك، ففي هذه الحال يتم الوقوف على الهاء رفعاً و نصباً وجراً كقولك: هذه سيارةُ : هذه سياره، و اشتريت كراسةْ : اشتريت كراسه ، ومررت بمدرسةِ ، تقول: مررت بمدرسه ، أي بقلب التاء المربوطة هاءٍ .ولكن ما الذي جعل اللغويين عند الوقف على الاسم المنوَّن,يبدلون من تنوينة ألفاً في حالة النصب, كما في المثال السابق,ولم يبدلوا منه واواً في حالة الرفع,ولا ياءً في حالة الجر,نحو قولك:هذا رجلْ,ومررت برجلْ ؟

تأتي الإجابة عن هذا السؤال من جانبين :الأول : إنما أبدلوا من التنوين ألفاً في حالة النصب بسبب خفة الفتحة ,بخلاف الرفع و الجر ,فإنَّ الضمة و الكسرة ثقيلتان ,والآخر ؛ أنَّهم لو أبدلوا من التنوين واواً,في حالة الرفع ,لكان ذلك يؤدّي إلي مجيء الاسم المتمْكن في آخره واو ,قبلها ضمَّة, وهذا يخالف كلام العرب , إذ ليس في كلامهم اسم متمكن ,في آخره واو قبلها ضمَّة , ولو أبدلوا من التنوين ياءً,في حالة الجر , لكان ذلك يؤدي إلي أن تلتبس هذه الياء المنقلبة بياء المتكلم ,لذلك لم يبدلوا منه ياءً، في مثل قولك :(كتابُ : كتابُو – كتابي) .

غير أنَّ بعضاً من العرب مَنْ يبدلْ في حالة الرفع واواً ,و في حالة الجر ياءً و منهم من لا يبدل, في حالة النصب ألفاً عند الوقف ، كما لا يبدل في حالة الرفع واواً ، ولا في حالة الجر ياءً، وهي لغة قليلة الاستعمال [22].

وقد جعل النحاة التنوين علامة علي الصرف، دون غيره من الحروف التـــي تزاد في آخر الكلمة ، مثل حروف المد و اللين (الألف والـــواو واليـــاء) ،لأنّ هـــذه الحروف يلزمها الاعتلال والانتقال من صورة إلى أخرى غالبا ، فلـــو جعلـــوا الـــواو علامة علي الاسم المصروف ،لانقلبت هذه الواو ياء ، بسبب تطرفها ، وانكسار مـــا قبلها ، وكذلك حكم الياء والألف لما يتورهما من الاعتلال ، لهذا كان التنوين أولى من حروف المد في الدلالة علي الصرف ،لعدم تعرضه للاعتلال ، ولأنه خفيف ،يـــضارع حروف العلة [23] والتنوين لم يأت في اللغة العربية عبثا ، أو هدراً ، بل لفائدة ، يرمي إليها الكلام غالباً، وقد مرّ بنا أنّ التنوين يُعدُّ حرفاً زائداً من حـــروف المعـــاني، تلـــك الحروف التي تفيد معنى في غيرها ، وليس في نفسها،والمتمعن في دقائق هـــذه اللغـــة يجد أنّ أية زيادة علي مبني الكلمة ، يؤدّى بالضرورة إلي زيادة في المعنى ، ومن هنا تتنوع دلالات التنوين ، باعتباره حرفاً من حروف المعاني ، وزائداً علي مبنى الكلمـــة التي أُلحق بها، ومن أهم الدلالات التي يفيدها التنوين :

1- الدلالة علي خفة الاسم ،بكونه معرباً منصرفاً ، وعلي تمكّنه في بـــاب الاســـمية ، لكونه لم يشبه الحرف ، فيبني ولم يشبه الفعل ،فيمنع من الصرف، إذ أنّ الفعل لا ينوَّن ، لثقله ، بخلاف الاسم الذي قد يلحقه التنوين لخفته [24]،ولهذا يطلق علي هذا النوع من التنوين بتنوين التمكين ، يقول ابن يعيش : ((أي أنه باقٍ علي مكانه من الاسمية ، ولم يخرج إلي ما يشبه الحرف ،فيكون مبنياً نحو الذي والتي ، ولا إلي ما يـــشبه الفعـــل ، فيمتنع من الصرف ،نحو أحمد و إبراهيم)) [25] .

2- الدلالة علي التنكير,وعدم التحديد : ويلحق هذا التنوين غالباً أسماء العلم المختومـــة بلفظ (ويه)،مثل سيبويهِ , و قرعويهِ,و خالويهِ ,فإذا كنت تتحدث عـــن شـــخص معـــيَّن واضح في الذهن , و معهود بينك ,وبين مخاطبك فإنك في هذه الحال لا تلحقه التنـــوين لأنه اسم مبني,كقولك :سيبويه شيخ النحاة ،من دون تنوين (سيبويه), إذ إنه معـــروف عند المتكلم و المخاطب في هذه الحال ,أما إذا كنـــت تتحـــدث عـــن شـــخص غيـــر معّين,يسمى بهذا الاسم,و ليس معهوداً بينك و بين مخاطبك, فإنك تلحقه التنوين منكّـــراً إيّاه , كقولك :مررت سيبويهِ , فالتنوين هنا يدل علي التنكير للاسم الملحق به .

كما يلحق هذا التنوين أيضا بعض أسماء الأفعال,للدلالة علـى التوسـع فـي المعني,وعدم التحديد, فعندما تقول لشخص(صَهْ),بتسكين الهاء,ومن دون تنوين ,وهـو اسم فعل أمر بمعنى:اسكت ,أي: أنك تعني أن يسكت المتكلم أو المخاطب عن الكـلام المعيَّن أو الخاص الذي يتحدث فيه ,وله أن يتحدث في غيره من الكلام ما يشاء .

أما إذا قلت له :(صَهٍ),بتنوين الهاء , فإنك تعني أن يسكت المتكلم عن الكـلام مطلقاً ,و ألا يتحدث في أي شيء .

وكقولك لمخاطبك(إيهِ),بكسر الهاء, ومن دون تنوين,وهو اسم فعل أمر مبنـي على الكسر ,بمعنى (زدني), أي : زدني من هذا الكلام , واستمر فيه , فإذا قلـت لـه (إيهٍ) بالتنوين , فإنك تعني أن يزيد المتكلم من أي كلام , و يسترسل في أي حديث من غير تحديد كلام معيَّن بذاته .

وعلى هذا فالتنوين علم التنكير و تركه علم التعريف , فـإذا أردت التنكيـر نوَّنت , و إذا أردت التعريف لم تنونْ ,يقول شارح المفصّل : ((فإذا قلت :صهٍ منوَّناً , فكأنك قلت:سكوتاً,وإذا قلت صهْ بغير التنوين,فكأنك قلت: السكوت , وإذا قلـت : مـهٍ بالتنوين , فمعناه كفاً , وإذا قلت :مهْ فكأنك قلت: الكف - - - -)) [26] .

3- الدلالة علي التعويض :فمن الدواعي ما يقتضي حذف حرف من الكلمة,أو حـذف الكلمة بكاملها, أو أكثر,فيحل التنوين محل الشيء المحـذوف,و يكـون عوضـا عنـه اختصاراً , فقد يحذف حرف الياء من الاسم المنقوص النكرة في حالتي الرفع و الجـر ويحل التنوين محله,كالتنوين الوارد في قولك : هذا قاضٍ,ومررت بقاضٍ , فالتنوين هنا إنما هو تعويض عن حرف الياء المحذوف,فوزن قاض: (فاعٍ),بحذف لام الكلمة,ولكـن لماذا يأتي التنوين في الاسم المنقوص بالكسرة في الرفـع والجـر,كمـا فـي المثـال السابق,بينما يأتي بالفتحة في حالة النصب, كقولك :قابلت قاضياً ؟,و للإجابة عن هـذا السؤال أقول :سُمِّي الاسم المنقوص بهذا الاسم لنقص الرفع و الجر عنه,فلا تظهر عليه الضمة أو الكسرة لثقلهما على الياء,في حالتي الرفع و الجر,لهذا تحذف الياء في حالـة التنكير,ويعوض عنها بالتنوين ,فالأصل في قولك :هذا قاضٍ,ومررت بقاضٍ,هو :هـذا قاضِيٌ ,ومررت بقاضيٍ,إلا أنهَّم استثقلوا الضمة و الكسرة على اليـاء المكـسور مـا

قبلها,فحذفوهما(أي:الضمة و الكسرة),وبقيت الياء ساكنة ,و التنـــوين ســـاكن بطبيعتـــه ,فالتقي الساكنان,الأمر الذي يستدعي حذف أحدهما,وكان حذف الياء أولي مـــن حـــذف التنوين لسببين الأول : أنَّ الياء إذا حذفت بقي في اللفظ ما يدل عليها,وهـــي الكـــسرة ,بخلاف التنوين ,فإنه لو حذف لم يبق في اللفظ ما يدل علي حذفه,فلما وجـــب حـــذف أحدهما ,كان حذف ما في اللفظ دلالة على حذفه أولي,و السبب الآخر :هو أنَّ التنـــوين دخل المعنى ,وهو الصرف,وأمَّا الياء, فليس كذلك ,فلما وجب حذف أحدهما ,كان حذف ما لم يدخل لمعني ,أولي من حذف ما دخل لمعني ,لذلك حذفت الياءُ ,ثم أبـــدلت مـــن التنوين كسرة لمناسبة الكسرة الواقعة على ما قبل الياء المحذوفة .

فإن كان الاسم المنقوص النكرة منصوباً بقيت الياء في هذه الحال , وأبدل من التنوين ألفاً كسائر الأسماء المنصرفة الصحيحة ,وذلك لخفة الفتحة,على الياء ,و مجانسة الألف لها . و إذا كان الاسم المنقوص معرفاً بالألف واللام امتنع تنوينه في هذه الحال مثل القاضي,والداعي, ونحوهما, وكان حكمه في الوصل حكم ما ليس فيه ألف و لام , في حذف الضمة والكسرة , و دخول الفتحة ,أمَّا في الوقف ,فإنه يجوز إثبـــات اليـــاء وحذفها, في حالتي الرفع والجر,وإثبات الياء أفضل,لأنَّ التنوين لا يجوز أن يثبت مـــع الألف و اللام [27].

هذا وقد يأتي التنوين عوضاً عن كلمة,وغالباً ما يكون بحذف المضاف إليـــه,و إبقـــاء المضاف,مثل لفظي:(كل و بعض),وما في حكمهما ,كالتنوين الوارد في قولك :كلٌ يجبُ الحرية , فالتنوين في هذا المثال جاء للدلالة على حذف المضاف إليه,و الأصـــل:كـــل إنسان يجب الحرية ,وكما في قوله تعالى:﴿كلٌ في فلك يسبحون﴾[28].

و امَّا التنوين الذي يأتي للدلالة على جملة أو أكثر , فغالباً ما يكون بعـــد (إذْ) المسبوقة بلفظ (حين)مثل حينئذ, أو (ساعة) مثل:ساعتئذٍ,أو (عند), مثل: عندئذ,أو (يـــوم),مثل:يومئذ,وما شابه ذلك , ومن أمثلة هذا النوع ما ورد في قوله تعالى:﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها,و أخرجت الأرض أثقالها, و قـــال الإنـــسان مالهـــا يومئـــذ تحـــدث أخبارها﴾(29),فقد جاء في شرح المفصل: ﴿تزلزل الأرض زلزالها﴾وتخـــرج الأرض أثقالها ، ويقول ألإنسان مالها،فجدفت هذه الجمل الثلاث،وناب منابهـــا التنوين،فـــاجتمع

ساكنان،وهما:الذال والتنوين ،فكسرت الذال لالتقاء الساكنين،وأُبدلت من التنوين كسرة،لمناسبة كسرة الذال،فجاء التنوين بالكسر))[30] والله اعلم .

3- تنوين المقابلة:وهو اللاحق لما جمع بألف وتاء زائدتين عن مفرده،كالتنوين الوارد في قولك: هؤلاء مسلمات ومررت بمسلماتٍ،وسُمّي بتنوين المقابلة،لأنه يقابل النون في جمع المذكر السالم،فالاسم المفرد المعرب إذا كان نكرة لحقه التنوين ، ولكن إذا جمع جمعاً مذكراً سالماً منع من التنوين،تقول:فاز مسلمٌ،وفاز مسلمون،ورأيت مسلماً،ورأيت مسلمين، غير أنّ المفرد المؤنث إذا جمع بألف وتاء لحقه التنوين،وهذا التنوين يعادل النون في جمع المذكر السالم [31] .

4- كذلك من المعاني التي يفيدها التنوين الدلالة علي الحاضر أو المستقبل، فاسم الفاعل المجرد من أل والإضافة،لا يعمل عمل فعله إلا إذا دلّ علي الحال أو الاستقبال،ويكون في هذه الحال معتمداً علي مسوِّغ كالابتداء أو الاستفهام،أو النفي،أو نحو ذلك،بحيث يوازن اسم الفاعل العامل في هذه الحال المضارع في حركاته وسكناته وعدد حروفه,فقولك:أنا دارسُ الدرسِ,بضم(دارسُ),ومن دون تنوين ,فإنك تعني في هذه الحال أنك درسته في الماضي أما قولك:أنا دارسُ الدرسَ ,بتنوين لفظ (دارس),فالتنوين الوارد في المثال السابق أفاد الدلالة على المستقبل,و بالتالي نصب المفعول به,وهو لفظ (الدرس),وعلى هذا فالتنوين قد يدل على الحدث في المستقبل,وعدم التنوين قد يدل على الحدث في الزمن الماضي [32].

وفي مجالس العلماء ,و مناظراتهم في حلقات الدرس ,في حضرة الخلفاء,وعلية القوم شواهد تدل على أنّ التنوين قد يوجِهَ المعنى,ويؤثر فيه,فقد كان بعض العلماء من النحاة و الفقهاء يربطون به بعض المسائل الفقهية,وأحكام التشريع ,فقد رُوي أنّ الكسائيّ النحوي,سأل أبا يوسف القاضي,وكانا في حضرة الخليفة هارون الرشيد,حين ذمّ النحو:ماذا تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتلُ غلامِك,بإضافة اسم الفاعل(قاتل)إلي(غلامك),وقال له الآخر:أنا قاتلٌ غلامك,بالتنوين من غير إضافة ,فأيهما كنت تأخذ به ؟فقال أبو يوسف:آخذهما جميعاً,فقال له الرشيد,وكان له علم

بالعربية,:أخطأت,فاستحيا أبو يوسف ,وقال:كيف ذلك؟,فقال الرشيد:الذي يؤخـــذ بقتـــل الغلام ,هو الذي قال :-

أنا قاتلُ غلامك,بالإضافة لأنه دلَّ على فعل ماض,وحدث وقع,وأمَّا الذي قال :أنـــا قاتلٌ غلامَك,بالتنوين ,و النصب , فلا يؤخذ بما قال , لأنه مستقبل لم يقع بعد , قال الله تعالى في كتابه العزيز﴿ ولا تقولنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غـــداً إلا أن يـــشاء الله﴾(33) فلولا أنَّ التنوين يدل على المستقبل في قوله عز وجل (فاعلٌ) ما جاز فيه (غداً), و الله أعلم [34].

وروي أيضاً أنَّ الخليفة الرشيد كتب إلى أبي يوسف:أفتنا حاطك الله في قـــول القائل :

فإنْ ترفقي يا هند , فالرفق أيمن :. وإن تخرقي يا هند فالحرف أشأم .

فأنتِ طلاق,والطلاق عزيمة :. ثلاثاً , ومن يخرف أعقُّ و أظلم.

فإنَّ لفظ (ثلاثا)في البيت ينشد بالرفع و النصب, فكم تطلق على الحالتين؟ فـــانطلق أبو يوسف إلى الكسائي,يستفيئه,فقال الكسائيّ:مَنْ أنشده بالرفع(أي من غير تنوين ,فقـــد طلقها بواحدة,و أبانها أنَّ الطلاق البائن لا يكون إلا بثلاث ,ولاشيء عليه,وأمَّا مَنْ أنشده بالنصب ,فقد طلقها,وأبانها,لأنه قال لها:أنت طالق ثلاثاً,فالتنوين في لفظ (ثلاثاً),يدل على المستقبل ,فهي هنا في حكم الطلاق البائن بينونة كبرى(35),والله أعلم.

وقد أضاف بعض النحاة أنواعاً من التنوين يتعلق غالباً بعلم الشعر,وهي مشتركة بـــين الأسماء والأفعال والحروف,منها ما يطلق عليه تنوين الترنم,ويلحـــق غالبـــاً القـــوافي المطلقة,بدلاً من حرف الإطلاق ,وهو الألف والواو و الياء ,و يظهر كثيراً فـــي شـــعر بني تميم و قيس و الغرض منه على رأي هؤلاء التغني,غير أنَّ ابن هشام ,يذهب إلـــى القول بأنَّ سيبويه,و غيره من المحققين,يرون أنَّ هذا النوع لا يفيد التغنِّي,وإنما جيء به لقطع الترنم,لأن الترنم,وهو التغني,يحصل بأحرف الإطلاق,لقبولها لمد الصوت بها,فإذا أنشدوا,ولم يترنَّموا,جاءوا بالنون الساكنة,كقولهم:

أقلّي اللوم عاذلَ و العتابَنْ :. وقولي إنْ أصبتُ لقد أصابنْ .

وهناك نوع من التنوين يتعلق بالشعر أيضا يطلق عليه تنوين الغالي يلحق القوافي المقيدة وسُمِّي غالياً لتجاوزه حد الوزن المقرر للقافية كقول الشاعر :

وقاتم الأعماق خاوي المخزقنْ :. مشتبه الأعلام لمّاع الخفقنْ .

وهناك تنوين آخر, يطلق عليه, تنوين الضرورة, وهو اللاحق لما لا ينصرف, كالتنوين الوارد في قول الشاعر:

ويوم دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عنيزةٍ :. فقالت :لك الويلات إنّك مرجلي

بتنوين كلمة (عنيزة)الممنوعة من الصرف للعلمية و التأنيث للضرورة (36).

ويتضح لنا ممّا سبق أنَّ التنوين يُعدَّ خصيصة من الخصائص التي تميزت بها لغتنا العربية عن بقية اللغات الإنسانية الأخرى وهو حرف مبني من حروف المعاني يجيء به غالباً لمعنى من المعاني يرمي إليها المتكلم ولذلك تتعدد دلالاته في الكلام .

المراجع

1- انظر : النحو الوافي , لعباس حسن ,دار المعـارف بمـصر ,الطبعـة الرابعـة, ج1,ص38,
و ما بعدها .
2- انظر :لسان العرب لابن منظور ,تحقيق عبد الله الكبير ,و آخـرين ,مطبعـة دار المعارف بمصر ,بدون تاريخ الطبعة ,و رقمها ,مادة (نون) ,و حاشية الصبّان على الأشموني , مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه ,بدون رقم الطبعة و تاريخهـا ,ج1,ص30 .
3- انظـــر :الأشـــباه والنظـــائر,لجـــلال الـــدين الـــسيوطي,دار الكتـــب العلمية,بيروت,لبنان,خ1,ص321
4- انظر :المرجع السابق ,ج2,ص139 .
5- انظر :المرجع السابق نفسه.
6- انظر المرجع السابق نفسه .
7- شرح المفصّل لابن يعيش,عالم الكتب,بيروت,لبنان ج9,ص29 .
8- انظر:أسرار العربية,لابن الأنباري,تحقيق محمد بهجت البيطـار,مطبعـة الترقـي بدمشق,1957 ف,ص36 .
9- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ,تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ,مكتبـة دار التراث القاهرة ,الطبعة العشرون,1980ف,ج1,ص16.
10- انظر:أسرار العربية لابن الأنباري,ص36.
11- انظر:شرح المفصّل لابن يعيش,ج9,ص35.
12- سورة ص,من الآيتين(41-42).
13- سورة الحجر ,من الآيتين(45-46).
14-انظر:شرح المفصّل لابن يعيش,ج9,ص35.
15-سورة يس,من الآية(40).

16-شرح المفصّل,لابن يعيش,ج9,ص.

17-انظر:الأشباه والنظائر,للسيوطي,ج2,ص140,والنحو الوافي لعباس حسن, ج1,ص43 ومابعدها.

18-انظر:النحو الوافي,لعباس حسن,ج1,ص44.

19-الفعل أثقل من الاسم,لأن الفعل بمنزلة المركب يفتقر إلى الاسم الذي قد يكون الفاعل أو المفعول به,و أن الفعل لا يفيد إلا بالاسم بينما الاسم قد يستغنى عن الفعل, و يفيد مع جنسه,بخلاف الفعل لا يفيد إلا بانضام الاسم إليه,و أنّ الاسم أكثر استعمالاً من الفعل

و الشيء,إذا كثر استعماله خفّ على اللسان,وأنّ الفعل على رأي البصريين مشتق من المصدر ,و المشتق فرع من المشتق منه,لهذا فالفعل فرع على الاسم,و الفرع أثقل من الأصل,انظر:الأشباه و النظائر,ج1,ص322 ,ما بعدها.

20-انظر :حاشية الصبّان,ج3,ص228 ,و ما بعدها .

21- انظر :النحو الوافي ,لعباس حسن ,ج1 ,ص44.

22- انظر :أسرار العربية لابن الأنباري,ص413.

23- انظر :المرجع السابق ,ص35.

24- انظر:الأشباه و النظائر ,للسيوطي,ج1، ص 322 وما بعدها .

25- شرح المفصّل،لابن يعيش ، ج9 ، ص29.

26- المرجع السابق نفسه ، وانظر : النحو الوافي، ج1، ص35 وما بعدها .

27- انظر : أسرار العربية ،لابن لأنباري ، ص 37 ومابعدها.

28- سورة يس ،من الآية (40).

29- سورة الزلزلة ،من الآيات (1-2-3-4-).

30- شرح المفصّل, لابن يعيش,ج9,ص30.

31- شرح التصريح على التوضيح,لخالد الأزهري,ج2 ,ص33.

32- انظر:فقه اللغة العربية و خصائصها,لأميل بديع يعقوب,دار العلم للملايين الطبعة الثانية, 1986ف,ص139.

33- سورة الكهف الآيتين (23-24).

34- انظر:المعني والإعراب عند النحويين و نظريـــة العامـــل,لعبـــد العزيـــز عبـــده ,منشورات الكتاب و التوزيع و الإعلان,طـــرابلس الجماهيريـــة,ص24,والمـــراد بالخُرق:سوء الخلف, والعقوق:ضد البر وفعل الخبر ,و انظر

35- انظر :المرجع السابق,ص25,والأشباه و النظائر للسيوطي,ج3,ص114,وما بعد.

36- انظر:مغنى اللبيب لابن هشام ,تحقيق محمد محيى الدين,دار الثرات بيروت,ج2, ص342,و شرح التصريح ,ج1,ص36,و ما بعدها .